

من صفحات الذاكرة

الرعيل الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاوسا من الاثنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنتهم وظروفهم، فإن قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القيس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكناهة.

أجرى الحوار: جاسم عباس

الطراحة مهنة آبائي وأجدادي

محمد بوعباس: عملنا ٧٠ سنة في سوق الطرايح



محمد ناصر بوعباس في مكانه مع الأشغال اليدوية

■ الاختار «عمك أصمخ»... ما يدل شوارع منطقتة

في مستهل لقائنا مع محمد ناصر حي ناصر بو عباس قال: انا ابن العذال الذي كان يتفق مع بعض الراغبين في التوجه الى الغوص على حسابهم الخاص مع بعض النواخذة لرافقتهم بالسفينة للغوص على اللؤلؤ بمفردهم، وغالبا ما يكون العذال حرا في الغوص في اي مكان يرغب فيه مع بقية الغواصين، وكان مع والدي كعادته سعود بو عباس وعبدالله باع الدخن، وهلال الطوخ، واما جدي حي فركب سفن النقل البحري (السفر) وركب القطاعة السفينة التي كانت تستخدم في الخليج لصيد الاسماك والنقل الساحلي، هكذا كان الابداء والاجداد منهم من يصنع، ومنهم من يطور، وآخرون كانوا يغامرون عبر البحار والمحيطات، ففي عام ١٩٢٠ بلغ عدد السفن حوالي ٩٠٠ سفينة، وقال: ولدت عام ١٩٢٧م في فريج الجناعات ثم انتقلنا الى الشرق شارع احمد الجابر حاليا، كان بمنزلة عن غيره من الشوارع القديمة لان سكانه عائلات كويتية كانت مهتمت بالحرف اليدوية والصافة حتى قصر سمان وقصر الغانم والشيخ عبدالله الجابر ومنزل عبداللطيف النصف، منطقة غنية بنيت فيها بركة للماش ثم انتقلنا لضيق بيتنا الى فريج بن سيف الرومي بالقرب من المسجد.

شعلة العواطف

وقال: كانت النفوس مشبعة بروح الإيمان بين الجيران، لم تشوهها العصرية ولا المدينة، كان الجو هو السلام والحقوق مرعية، وكان الجيران في هذه الاحياء يتنافسون في الخير، الان والانسف شوهت هذه العلاقات واطلقت شعلة العواطف بين الجيران، واصبح الجار لا يعشق خلقا فاضلا، واصبح يدور ويوقف سيارته لا سلام ولا كلام، الا القليل القليل منهم، اضاعت انوار المعرفة بالله قلوبهم، هؤلاء هم الذين عرفوا ان من سعاده المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والسكن الواسع.

وقال بوعباس: عرفنا منذ كنا صغارا ان اكرام الجار لا يقف عند نوع معين من الاكرام، بل تقدم له ما استطعت من معروف، وان تمنع عنه الاي ابا كان نوعه، وكما سمعت من الاحاديث الشريفة عن اكرامه: يا ابا تر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها، وتعاهد جيرانك.

وبدا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» (اي: حافر شاة).

الدراسة

وقال بوعباس: درست عند الشيخ زكريا بن محمد الانصاري في مدرسته الواقعة في سنة من دعيح في فريج العبدلرراق، والمدرسة تعتبر قديمة في الكويت افتتحت عام ١٨٩٤، وهذا المرابي الفاضل كان اماما لمسجد العبدلرراق وكان يدرسه القرآن الكريم واللغة العربية والخط وطور المدرسة فدخل فيها مواد التاريخ والجغرافيا واللغة الانكليزية، واغلقت هذه المدرسة عام ١٩٤١ بعد ستة واربعين عاما من افتتاحها، ثم عند الملا عبدالوهاب باطية، ثم الملا بلال واخيرا درست عند الملا الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة كان والده يشرف على المدرسة، بدأ بالتدريس وكان عمره ١٨ عاما، وكان رحمه الله يهتم بالخط فاستمرت المدرسة من عام ١٩١٤ حتى ١٩٦١، وهو الذي اسس المعهد الديني ومعهد الخطباء، وكان يدرس في مسجد السوق بعد صلاة العصر، فكان انسانا تقيا ورعا ومتدينا جدا عبته الشيخ احمد الجابر الصباح قاضيا للكويت في ١٩٣٢ حتى عام ١٩٤٦.

الطرايح عملنا

اما عن الاعمال فيقول بوعباس: سبوعن سنة وانا في سوق الطرايح لانا من الطرايح، ابائي واجدادهم اهل طرهم كانوا باعة الفواكه والخضار، كانوا يطرحون على الارض للبيع والشراء، منهم من كان تاجرا للجملة، وصاحب الدكان الذي يسمى «الخضار»، فكان والذي يضعني على كتفه ويولجني في محله وعندما بلغت السابعة من عمري جلست تحت دكان ابيع وبكل، وهو الكرات من بقول الارض، كان يزرع في مزارع الفطاس والفنطيس وابو حليفة وهو على شكل عيدان، والخريف فيه كثير وهذا الكرات يقطع حوالي عشرين مرة في السنة وتكت احزمه بحزم كبيرة يقال لها «شدة» والناس يمررون على ويشتررون ويقولون من باب المزح: «مجنون ما عنده عقل ياكل شدة بكل بقل».

وقال: اذا ذهب والدي الى «العذالة» جلست مكانه رغم صغري سنني، وبعد ان اذن الظهر اذ «البيكل» وهو الكرات التي سوق الخضار القديم الذي يتوافد اليه الناس لشراء الخبز والوجبات الغذائية، فاعرض عليهم وكان يسمى سوق الطبايع، (الطبايع) كان غنيا بالمتاع خصوصا «الباجية» والكدة والخلوي، وبعد صلاة العصر احمل كرات، وكمنة من الخبز اضعتها في طبق من الخوص متوجها الى ساحة الصفاة عند «المخاترة» وهم من بدو العراق يجلبون الحطب والابواب الى الكويت، وهم اكثر من يشترون ويكافون البيكل والخبز، كنت يولجا بين هذه المواقع الثلاثة.

واضافة: كنت اشترى الكرات من اولاد ابن شيخ عبدالله وضاحي وحومو، وكان معي ايضا المرحوم الشيخ علي الجيسر، ثم اشترت دكانا بالقرب من سوق النبات والمجلد واللحم، ايضا بالمدينة نفسها مع اضافة انواع اخرى من الخضراوات والفواكه، وانتقل سوقنا الى الشويخ الصناعية بعد هدم السوق القديم، ثم رجعت بعد سنوات الى السوق الحالي الذي سمي بالمباركة لا اعرف لماذا؛ ابن براءة ابن الجبر والطرايح والنبات والدمج واللحم والمعجل.

أشغال يدوية

وتحدث عما يحويه البيت الكويتي القديم والذي ما زال موجودا وتحت ايدي الامهات، فهذه المواد التي كانت لازمة اصبحت للزينة والديكور، والفاستات، وقال: بعد ٧٠ سنة من الطراحة عملت في هذه القطع القديمة المصنوعة من السفن، اي جريد النخل مع الخوص، وهذه الاشياء كانت تجلب من العراق وايران والهند وباكستان، فهذا الزيل المستدير (يدل عليه امامه) كان يستخدم في نقل التراب والحصى والطين، وايضا في نقل الخضراوات والفواكه من السوق، والنوع الاخر منه اكثر سماكة يسمى «القف»، وهذا النوع يصنع بطريقة فنية وقديما كان يستخدم في حفظ البصل والقمح.

وقال بوعباس: ما زلت مع هذه القطع والآن لا يوجد في السوق الا خمسة: انا وعبدلرراق باع البن العذاني وثلاثة من اولاد العجيل، كان ايجار المحل ه رويبات في الشهر، ولا صبيان ولا خدم ولا عمال تنتقل من براءة ابن بحر الى

لم يبق في السوق إلا خمسة من ١٥٠.. الله يرحمهم ويرحمنا
 ■ زكريا الأنصاري هو الذي طور التعليم في الأربعينات ■ المحبة بين الجيران أطفأت شعلتها مدينة العصر
 ■ لبست الدقلة والعقال المقصب.. ولبسنا الباطو فوق الدشداشة
 ■ أين الرحمة.. وأين الحياء.. وأين الأدب في الكلام.. التي كنا ننعم بها في الماضي؟

الملابس القديمة

تحدث بو عباس عن ملابس الرجال فقال: انا لبست الدقلة وهي جبة تصنع في الهند لا يلبسها الا اميسور الحال ولها غولة (ياقة) طويلة تختلف عن بقية الدقلات، والباطو هو المعطف كنا نلبسه فوق الدشداشة، واذا كان لون الدشداشة نفسه قالوا: لا بس «عاطة اي» البدلة الكاملة، والبشت، وعقال شطبة من الحرير مخز بالزري، وعقال المقصب ايضا من الزري، وكان جدي وكثير من الكويتيين يضعونه فوق الغترة، والزبون جبة تلبس فوق الدشداشة في فصل الشتاء، والسديري هو الصدرية، والكحيفة التي مازالت، والوزار كنا نلبسه عوضا عن السروال، والبعض يطويه على رأسه، والبنائون يحزمونه حول بطونهم.

وقال: لدينا ايام زمان انواع من الغترة منها: غترة شال، كلكتة، وشماغ، وويل، وململ، وميكرة وصبوفا، وحتى البشت كان الكويتي مميذا في لبسه ونوعه منه: بشت درويهي، وير، بدري، ماريته، صروف وبشت مزوية، والدورك، وعباية بركة، واتذكر الحذاء اللثني، وغندره، ونعال نجدية، ومبجوية، وويل، وزربيل.

كل شيء راح

وقال: كل شيء راح حتى الديوانية تغيرت بعد ان كانت ملتقى للاخبار والادب والتعاون اصبحت لعب الورق وضياح اللوت، وانا استغرب من الغيبة فيها، كيف تذكر احاد الغائب بما يكرم، يقولون عنه: طويل، قصير، احول، ارفع، اعشى، ومن عائلة.. او هو سيي الخلق ومكبر، ومتهور، كل شيء راح اصبح الواحد الافضل له الابتعاد، اين هم الذين لا يتكلمون الا بعد التفكير؟ تعلمنا منهم اداب عيادية المريض، واداب السلام، والعناية بالضعيف ورحمة الصغير، لماذا هذا السهر حتى منتصف الليل؟ اين الرحمة بالاولاد والتلطف بهم ومشاركة الزوجة في رفع مستوى الاولاد؟

وحتى صاحب العود، تلك الآلة الموسيقية التي كانت من لوازم الغناء الكويتي، كان يضعه في كيس كبير حتى لا يشاهده الناس في الاسواق، والسكك، وحتى البطالي صاحب الافعال السبيلة لا يجلس في الديوانية، الان بنات الكويت في المقاهي والبخان يتصاعدن من افواههن، الله يرحم زمان ما كانت تلبس ساعة، وتضع الحدة في بيتها ولا تخرج، ونقول للفصولي والسرصري صاحب المغاسد نقول له: «عدل عقالك»، والان يذهب الى الجمعية في بيجامة النوم، والمرأة الكبيرة في السن تلبس «جينز»، في سوق الخضرة وتتمشى، وحتى الرجل يلبس على النساء، ابن الحياء» وانا اذا رجعت الى البيت سالم اقول: الحمد لله.

الفرضة والصفاة وسوق الطرايح مقر عملنا، وكنا ننظر ساعات طويلة بانتظار وصول ابوام الخضرة والفواكه، وصاحب المفهي المرحوم بوتقي عمل لنا عريشا للراحة بالقرب من فوهته التي كانت تسمى «فوهة سيف جولان».

نفع الجيوب

.. واخيرا تحدث محمد بوعباس عن اعضاء مجلس الامة فقال: انهم اشغلوا بخلافاتهم وتركوا الكويت: مجلس الامة اول ويس كانوا يحرسون على الكويت، ولكن لا يخلو من الغيورين على الديرة.

واضافة: اعتقد لا يوجد مختار في المنطقة، فالمختار غالب، وما تعرف عنه شيء ابداء، اغلبهم من مصالح ونفع الجيوب، حتى الاختار نفسه لو سألته عن فريجه وعن شاربته او فلان وعلان، ابداء ما يعرف، وعك اصمخ.

سوق الطرايح

وتحدث عن السوق الذي يحمل اسم مهنة الابداء والاجداد بيع الخضراوات والفواكه والذي قسمهم الى ثلاثة اسام: من هم يتعاملون مع الابلاد القادمة من العراق وايران، وكانت الفرصة مقر لهم، والقسم الثاني من الطرايح كانوا يتلقون من القرى الكويتية وكان مقرهم «براحة بن بحر»، والقسم الاخير من الطرايح هم الذين يستلمون من جزيرة فيلكا بواسطة سفن الصيد، وكانت الجزيرة ترسل يوميا ثلاث سفن.

وقال: انا سوقنا فهو سوق الدهن والخضرة بني عام ١٩٠٠ في عهد



متحدثا للزميل جاسم عباس